
وشعرت
بانهزام نفسي
إعداد
هناء بنت علي
مصدر هذه المادة :
الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com
دار الوطن للنشر

الإهداء

إلى كل الآباء.. والأمهات..

إلى كل المعلمين.. والمعلمات..

إلى كل شاب وشابة نشأ في طاعة الله..

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد:

يقول الله عز وجل: ﴿**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[1].

* من هذا المنطلق يتبين لنا أنه لا بد مـــن الاعتـــزاز بـــديننا، والشعور بتفوقنا على غيرنا.. ولابد أيضا من توعية الأمة بذلك.

* فظاهرة الانهزام النفسي من أشد مـــا أصـــيبت بـــه الأمـــة الإسلامية اليوم.. حيث إن الكثيرين يظنونه أمرا سهلا.. ولكنه في الحقيقة مرض خطير، إن استشرى في مجتمعاتنا الإسلامية فسيكون فتكه في جسد الأمة أشد من فتك الأســـلحة وقصـــف المـــدافع والدبابات؛ لأنه يقود شبابنا وفتياتنـــا بكـــل نعومـــة وخفـــاء إلى الانسلاخ من الإسلام، وكفى بذلك بلاء وشرا مستطيرا.

* ويشتد خطر الهزيمة النفسية على المرأة خاصة؛ لأنه يؤدي إلى سرعة تحررها من دورها العظيم المنوطة به، ومن قيمها وحياتهـــا، ويدخلها في متاهات لا أول لها ولا آخر.. فبحكم طبيعتها وفطرتها

---

(1) سورة آل عمران: ١٣٩.

في حب الزينة نجدها تنجرف وراء تيار الموضة والأزياء وتنســاق انسياقا أعمى لتقليد كل منحط وسافل يصدره إلينا الغرب الكافر.

* ومما يدعو إلى الحزن والأسف معا أن من المسلمين من يهتم بما يسمى بالتراث الشعبي أو الموروث الشعبي.. فيبذل مـــن أجـــل ذلك الجهد والوقت والمال! ثم نراه وقد تزيا بزي الأعداء، وتطبـــع بطباعهم بشكل قد صبغ حياته كلها.. وحين نناقشـــه في ذلـــك يقول: هذا هو السلوك الحضاري! وهذا دليل التقدم والمدنية!.

* إذًا لماذا كل تلك الجهود من أجل إحياء التراث؟! مظـــاهر انتشرت.. نراها في الشوارع.. فذلك الشاب قد ارتـــدى قميصـــا وبنطالا، ووضع على رأسه قبعة، وقد تكـــون في إحـــدى يديـــه سيجارة، أو يصطحب كلبا.. يمشي وسط الناس بكل انهزام!!.

* وهذه فتاة تجلس في إحدى الحفلات وقد وضعت إحـــدى رجليها على الأخرى، وقد لبست البنطال أو القصير أو المشـــقوق من أعلى ومن أسفل.. أما شعرها فأصفر فـــاقع لونـــه لا يســـر الناظرين، ولون العدسات قريب من لون الشعر، فـــإذا حدثتـــها فاحت رائحة الانهزام المخزي من كلماتها!.

* أما هذه فملتزمة تحاول تطبيق السنن الواردة عن النبي ﷺ إذا كانت مع أخواتها الملتزمات، أما إن كانت بـــين المـــلأ فتـــذوب شخصيتها وتنهزم، خوفا من أن تتهم بالتخلف والرجعية!!

فمن أين أتانا ذلك الانهزام؟!

لا شك أن مرجع ذلك كله إلى ضعف الإيمان، وعدم تحقيـــق التوحيد الخالص، والجهل بحقيقة الإسلام.. ومن ذلك: الازدواجية في التربية والتعليم والإعلام. فالناشئ مثلا يـــتعلم في المدرســـة أو المسجد، ثم يرى في التلفزيون أو في الصحيفة أو يسمع في الإذاعـــة ما يناقض ما تعلمه؛ فتتزعزع ثقته في نفسه وبمن حوله من المربين لما يراه من المتناقضات!.

* ووسائل الإعلام فيها من الازدواج ما لا يليق بأمة مسلمة لها عزتها ومبادئها.. فالفضائيات التي تعج بها المجتمعات الإسلامية الآن وراء كل ذل وانهزام نفسي؛ لأنها هي الوسيلة الوحيدة التي تخاطب جميع الطبقات.. الصغير والكبير، المتعلم والعامي، والمرأة والرجـــل على السواء، فلو استخدمت في الخير فكم يا تـــرى ســـتزيل مـــن الغشاوة والذل عن العيون والقلوب!

* فكل ما نخشاه الآن أن تسري إلينا عدوى التغريب فنتحـــرر من إسلامنا دون أن نشعر.. فها نحن نرى كيف كنا ننظر بالأمس إلى أمور صغيرة فنعدها من التأثير بالغرب ومن الانهزاميـــة.. ثم في فترة وجيزة بعد دخول التكنولوجيا الحديثة والانفتاح على الغـــرب عبر الفضائيات.. أصبح الأمر ذاته في نظر الكثيرين أمرا عاديا جدا، فهناك أمور في نظرهم أشد خطرا منه!!

وختاما.. أسأل الله عز وجل أن يعز دينه، ويعلي كلمته، وأن يبصر المسلمين في كل المجتمعات بحقيقة دينهم، وأن يزيل الغشـــاوة

عن عيونهم والران من على قلوبهم، وأن يحفظ علينا أمننا وإيماننـــا، وأن يرد كيد أعدائنا في نحورهم. إنه ولي ذلـــك والقـــادر عليـــه سبحانه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سؤال..

إلى من يهمهم الأمر..

أليس من العار أن ينشأ أبناؤنا وقد مسختهم الثقافات الأجنبية والمبادئ الغربية؟

ثم.. أليس من المخزي والمؤسف أن نغفل عن أبنائنا وهـــم في سن التفتيح والتقبل.. فندع عقولهم وأفكارهم الغضة تتشرب ذلك العفن الذي سيقطعهم عن كل صلة بالثقافة الإســـلامية الواعيـــة، ويمنعهم من كل مرشد ومخلص؟!

وشعرت بانهزام نفسي

* كانت ليلة باردة.. المطر يهطل فيها بغزارة.. وقفت هند أمام المرآة بعد عودتها من حفل زواج إحدى زميلاتها، نظرت بإعجاب إلى شعرها المنفوش ووجهها المليء بالأصباغ، وكأنهما لوحة لفنان تشكيلي!

أخذت تتحسس خصلات شعرها الأصفر وهي تتمتم بكلمات مسموعة: حقا إنها آخر صيحة في عالم التسريحات! والدليل نظرات الزائرات التي تلاحقني.. شعرت بشيء من الإرهاق فألقت بجسدها المتعب على الأريكة وهي تجول ببصرها في أرجاء الغرفة.

وقع بصرها على تلك المجلات التي تمتلئ بها أرفـــف مكتبتـــها الصغيرة، لا رغبة في الثقافة والعلم، ولكن جريـــا وراء الموضـــة، ومتابعة لأخبار الفن والرياضة، والقصص الغرامية!.

نهضت بتثاقل شديد.. وتناولت واحدة من تلـــك المجـــلات.. تصفحتها بعشوائية، ثم رمتها وتناولت أخرى، أخذت تتأمل غلاف المجلة وهي تطلق آهة حزينة.. ألقتها وأخرجت شـــريطا لأغنيتـــها المفضلة.. أنصتت لكنها سرعان ما أغلقت جهاز التسجيل!

* إنها تشعر بخواء روحي لم تملأه تلك الصور والأغاني!

* عادت مرة أخرى تقلب أكوام المجلات وقصاصات الجرائد، فوجدت رسالة قد علاها الغبار.. لم تفتح بعد! نظـــرت في ظهـــر الرسالة فإذا هي مكتوب عليها: إلى تلميذتي هند حفظها الله..

بادرت هند إلى فتح الرسالة بدافع الفضول لا أكثر! أخرجت الرسالة وجلست باسترخاء ثم قرأتها بروية.

* تلميذتي هند: حفظك الله ورعاك

لقد وددت أن أبعث إليك بهذه الرسالة بعد أن عصفت في صدري الرعود فتساقطت الكلمات بردا من سحابة قلبي..

فيا أطيب الناس قلبا كنت أعرفها
هلا يكن لنصحي منك إصغاء؟
ما زال نصحي بصدري ضيقا حرجا
فهل يحين لهذا الصدر إفضاء؟
لا ألف ذنب كبير عنك يمنعني
حتى ولو باعدتني عنك أنحاء

* **حبيبتي هند:**

تعالي معي لنتحدث ولو قليلا عن بعض نعم الله تعالى علينا، فلقد أسدى علينا ربنا وخالقنا ورازقنا نعما لا تحصى؛ ومن أعظم تلك النعم وأجلها: نعمة الإسلام، والعقل، ونعمة الصحة في الأجساد، ونعمة الأمن في البلاد، وغيرها.. وغيرها..

فها نحن يا حبيبتي ننعم بالراحة والاستقرار.. لا نشعر بحرارة الصيف أو برد الشتاء! يأتينا رزقنا رغدا من كل مكان، في الوقت الذي يعيش فيه غيرنا حروبا طاحنة وخوفا واضطهادا.. يفترشون

الأرض ويلتحفون السماء! أما نحن يا تلميذتي.. فإننا نعيش برفاهية بالغة.. لقد سخر الله لنا من اخترع أنواع مختلفة من الأجهزة منها ما يقرب البعيد، ويكفينا عناء السفر، فنقضي حوائجنـــا، ونصـــل أرحامنا، ونطمئن على مرضـــانا.. فتهـــدأ نفوســـنا.. وتنشـــرح صدورنا.. كل ذلك بجهد لا يتجاوز لمسات.. أو لمسة خفيفة بأنملة أحد الأصابع!

أتدرين ما هو ذلك الجهاز يا هند؟ إنه جهاز الهاتف!!

فيا لها من نعمة تستحق الشكر حتى تدوم وتبقى.

* لكن من المؤسف.. أن فئة من الشباب– هداهم الله– قـــد بدلوا نعمة الله كفراً؛ حيث صاروا يســـتخدمون جهـــاز الهـــاتف لتفكيك الأسر وهدم المجتمع بإفسادهم لبنات المسلمين!

* قد تعجبين!! كيف يكون ذلك؟! لكنها الحقيقة المؤلمة! ولقد حدث ذلك بالفعل! فكم من فتاة تفننوا في اصطيادها حتى وقعـــت فريسة سهلة بين أيديهم.. بل كم من فتاة تعيش ضغوطا نفسية لا يعلمها إلا الله.. والسبب مكالمة هاتفية! قد تكون عفوية! وبعـــدها حدث ما لم يكن في الحسبان، والقصص والمآسي كثيرة ومتـــواترة، ولكن لتعلمي يا حبيبتي أن الموفق والسعيد في هذه الحياة هو مـــن وعظ بغيره، والشقي من وعظ به غيره. ثم إنه لمن الشقاء أن يبـــدأ العاقل من حيث انتهى المغفلون.

* إن من يفعل ذلك الفعل لم يستشعر الملائكة وهم يســـجلون كل كلمة يتفوه بها! بل لم يشعر بمراقبة الحي القيوم لـــه الـــذي لا

تأخذه سنة ولا نوم! ولا تخفى عليه صغيرة ولا كبيرة الذي يعلـــم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

ولكن أولئك جعلوا الله أهون الناظرين إليهم! وجعلوا تحريك الباب أشد على نفوسهم الضعيفة من مراقبة الله عز وجل.

فأسأل الله أن يحفظ حماك من شرهم.

*** حبيبتي هند:**

إني أحدثك بهذا الحديث وكلي محبة وشفقة عليـــك، فهـــذه كلمات قليلة قلتها لما رأيته منك وما سمعته عنك، فلقـــد كـــذبت سمعي وبصري إذ لم أصدق أن يحدث ذلك منك، ثم لم أعاتـــب في ذلك إلا أنت: أحقا ما حدث منك؟!

* غاليتي: إن فتاة مثلك لتربأ بنفسها أن ترعى مع الهمل، وقد رشحت لأمر أعظم من ذلك! فأنت التي تدركين عظم المســـؤولية الملقاة على عاتقك، أنت صانعة الرجال ومربية الأجيال، أنت التي خلقها الله سكنا ولباسا للزوج، فلا أظن أن فتاة واعية مثلك ستجد فراغا تبحث عن ملئه في أمر ساقط يفقدها أعز ما تملك!

* فهيا يا تلميذتي.. ضعي يدك في يدي وانهضي.. انهضي قبل الغرق! وعودي لرب الفلق.. أعاذني الله وإياك من شر ما خلـــق.. هيا بادري إلى باب التوبة قبل أن يغلق، فالأجل مجهـــول والعمـــر قصير، فلا تسوفي.. وإياك أن تكوني ممن يقول: إنني اتخذت المعصية عادة، ولا أستطيع تركها، فإن الذي يقول ذلك هو مـــن يتـــرك المعصية عادة، ولا أستطيع تركها، فإن الذي يقول ذلك هو مـــن

يترك المعصية لغير الله، أما الذي يتركها فإنه لا شك سيجد مشـــقة في البداية فقط، لكنه حينما يجاهد نفسه ويصبر تستحيل تلك المشقة حلاوة ولذة يجدها في قلبه.

* وقبل أن أختم حديثي أهمس في أذنيك: إنك يا غاليتي أشبه ما تكون بثوب ناصع البياض، يتأثر بأقل البقع، فحافظي عليه مـــن الدنس!.

ثم أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك.

معلمتك: وفاء

* نظرت هند إلى تاريخ الرسالة، فإذا بها قد مر عليهـــا عـــام كامل!.

طوت الرسالة بكلتا يديها وهي تتمتم بحسرة: عام كامل مضى عليك يا هند، ماذا فعلت فيه؟!

أراحت رأسها على كفها، وطاف بها الخيال بعيـــدا حيـــث أخذت تستعيد شريط حياتها، وتفتش في سجلها الأسود!:

* لقد نشأت في بيت محافظ، ولدت من أبوين فاضلين أمســـي وأصبح وأنا أسمع كلمات الدعاء لي بالستر والصلاح، فأبواي أشد ما يكونان حرصا على تربيتي التربية الصالحة.. وباعتبـــاري أكـــبر أبنائهما فقد كرسا جل جهدهما ليغرسا في نفسي خلاصة ما تعلماه من أصول التربية وقواعدها الصحيحة، فكل ما في منزلنا يسير تحت ضوء الشرع والدين، أداء الصلوات في وقتها.. النـــوم المبكـــر..

الاستيقاظ المبكر.. حفظ أجزاء من القرآن الكريم وبعـــض مـــن أحاديث الرسول ﷺ.. أما القصص الهادفة فقـــد كانـــت تأتينـــا بأسلوب مشوق فتتشربها عقولنا عن طريق الأشـــرطة المســـموعة والمرئية.

* منذ نعومة أظافري تعلمت كيف أحترم الكبار.. وكيـــف أرحم الصغار.. أساعد والدتي في بعض أعمال المنزل وفي رعايـــة إخوتي الصغار، برا بوالدتي أولا ثم بداعي فطرتي كـــأنثى.. وقـــتي يقسم بين واجبي تجاه ربي وبين واجباتي المدرسية وواجباتي المنزلية، مع جزء يسير من الوقت للترويح البريء أحيانا.

* لا وقت لدي أضيعه كحال أترابي.. بل إنـــني لا أعـــرف الذهاب إلى الأسواق البتة، فكل ما أحتاج إليه يوفره لي والدي وأنا فرحة مسرورة!

* لكن أول يوم تغيرت فيه حالي.. هو ذلك اليوم الذي رأيت فيه (دلال) لأول مرة! يوم أن كنا في بداية المرحلة الثانوية، وكانت فتاة تتقد حيوية وجمالا.. الكل يتحدث عن أناقتها وسحرها، فهي في كل يوم تأتينا بلون وشكل جديد! حقا لقد كانت محط أنظـــار الجميع. أما أنا فقدر لي أن أصادف مكان جلوسها و لم أكن أقـــل من غيري إعجابا بها! لم أنس أنني صارحتها مرة بذلك، فكـــادت تطير فرحا.. بعد ذلك زاد تعلقي بها وتعلقهـــا بي.. وذات يـــوم أعجبني شكل حذائها فسألتها: ما نوع هذا الحذاء يا دلال؟!

أجابت وهي تبتسم ابتسامة عريضة: إنه نفس شكل الحـــذاء

الذي تلبسه الممثلة (...) ثم استطردت وهي تهز رأسها بثقـــة: ألم ترينها يا هند في فيلم (...) يوم أن كانت بطلة الفيلم هي و(...)؟!

* أحسست بانهزام نفسي، فاحتقرت في تلك اللحظـــة ذاتي! كيف لا أعرف تلك المصطلحات التي تتحدث عنها دلال؟! ولعلها هي سر جمالها وجاذبيتها، حتى أصبحت يشار إليها بالبنان! أما أنا فمتخلفة متأخرة!!

أفقت من تلك الهواجس والأفكار على قهقهة وضحكة عالية أطلقتها دلال وهي تقول بعد أن خفضت صوتها قليلا: إنك مثلـــي تماما يا هند، فأنا حينما أتذكر من أحب أنسى جميع من حولي..!

* لم أفهم ما تقول.. ولكن!

مضت الأيام ودلال تأتيني كل يوم بأخبار جديدة عن فلان، أو فلانة (من الفنانين).

وذات يوم.. وفي إحدى الزوايا بساحة المدرسة!! أخرجـــت دلال من جيبها صورة ملونة لمغنٍ طالما حدثتني عنه حتى حفظـــت اسمه.. كانت تضم الصورة إلى صدرها، وهي تعلن عبارات الحب والغرام!

فقلت لها– بسذاجة– ساخرة: ثم ماذا يا دلال؟!

همست في أذني وهي تطلق آهة مكبوتة:

لا يعـــرف الشـــوق إلا مـــن يكابـــده

ولا الصـــــبابة إلا مـــــن يعانيهـــــا

ثم أخفت الصورة في جيبها وقالت: لا تزالين صغيرة العقل يـــا هند.. لا بأس سأحضر لك الشريط حتى تشاهديه صوتا وصورة.. ولتحكمي علي بما شئت بعد ذلك.

* وفي الغد أحضرت دلال الشريط بعد أن أكدت لي أنه آخر شريط نزل قبل أسبوع فقط! وضعته في مكان آمن في حقيبتي..

وبعد عودتي إلى منزلنا.. وحين جاء موعد نومي.. لم أنم مبكرة كالمعتاد! حيث تشاغلت بحل الواجبات، حـــتى نـــام الجميـــع، ثم أحكمت إغلاق الباب بعد أن نقلت جهاز الفيديو إلى غرفتي.. ثم بدأت بمشاهدة ذلك الشريط، فقد كان يحتوي على مسرحية غنائية تعج بكلمات الحب الصاخبة التي تخلع الحياء خلعا وتغرس مكانـــه الفحش والخنا!!

* مضت الأيام.. ومضت تلك الليلة وليال بعدها وأنا أعـــيش في دوامة من الصراع مع نفسي.. فقد اختلطت الرؤى في ناظري! أحسست بأنني أسير على مفترق طرق! فوالدي قد أحاطاني بسياج منيع من الحياء والعفة.. بينما دلال تعيش حرية مطلقة.. تســـتمتع بكل ما تريد دون حدود أو قيود.

* كنت أظن أن طريق دلال هو طريق السعادة بغض النظر عما يؤدي إليه ذلك الطريق، فطالما حذرتني منه والدتي مرارا وتكـــرارا، ولكني أردت اللذة والمتعة العاجلة.. بل كنت أظـــن أن والـــداي ينظران إلى الحياة بمنظار أسود.

* وتمر الأيام تلو الأيام، وحالي يزداد سوءا، ففي كل مســـاء

شريط أو مجلة ساقطة! كانت أجمل ساعات يومي عندما يسدل الليل ستاره، فلا يمكن أن أمضي ليلة دون مسلسل تأسرني فيه مشاهدة فنان أعجب بوسامته، أو ممثلة يعجبني هندامها، ولابد لي أيضا من أن أصغي إلى كلمات الهوى والغرام، فهي تهز المشاعر وتدغدغ الغرائز؛ حتى أصبحت شديدة الإعجاب بأحد المغنين، فلا أستطيع النوم إلا على نغمات صوته الذي زينه الشيطان في سمعي. وصرت أجمع صوره من الجرائد والمجلات فأحتفظ بها في (ألبوم) خاص! وما أن أمسك بالقلم إلا وأكتب اسمه حتى كتبي ودفاتري! كنت أردد أبياته الشعرية وأستشهد بها في كل مناسبة!!

* لقد انعكس التغيير على سلوكي فأصبحت سريعة الانفعال.. متوترة الأعصاب.. كثيرة القلق.. أغضب لأتفه الأسباب.. ساءت علاقتي بوالدي.. ثم انخفض مستواي الدراسي تدريجيا بعد أن كنت الطالبة المثالية، كيف لا يكون ذلك والهدف من ذهابي إلى المدرسة أصبح هدفا لا يرضي الله ولا الصالحين من خلقه.. فلقد اتخذتها أنا وبعض الزميلات مكانا لتبادل الأشرطة والصور أو مجلات الأزياء!

* لست أنسى ذلك اليوم الذي استدعتني فيه إحدى المعلمات وأسرت إلي بنصيحة قيمة مفادها التحذير من رفيقات السوء، لكن نصيحتها لم تحرك في القلب ساكنا! فلقد أصبح في أذني وقر يمنعني من سماع الخير والنصح.. وعلى قلبي الغافل باب محكم الغلق عن أهل الخير، فلا يدخله إلا من هم على شاكلتي من شياطين الإنس!

* أما شأني مع كتاب ربي فإني أقرأ كغيري من الطالبات في

حصة القرآن فقط!! لكنها قراءة جامدة.. أقرأه على مضـــض دون تفكر أو تدبر مما لفت انتباه معلمتي.. ففي أحد الأيـــام كنـــت في طريقي للخروج من المدرسة فاستوقفتني الأستاذة وفـــاء – وهـــي معلمة مادة الدين– ووضعت في يدي رسالة وهي تبتسم ابتســـامة المشفق وتقول بصوت حانٍ خفي: تفضلي يا هنـــد.. حـــاولي أن تقرئي ما فيها بتمعن، ولتتأكدي أن لك في قلبي مكانـــا فســـيحا وأن...، لم أدعها تكمل حديثها بل أسرعت إلى الخـــروج بـــلا مبالاة. ففكري مشغول بأحاديث دلال وقصاصات الجرائد وأنـــا أتساءل: لماذا هؤلاء – الملتزمين– يكبلون أنفسهم بقيود تحـــرمهم متعة الحياة وجمالها؟!

* والعجيب أنهم يحاولون أن يكبلوا غيرهم أيضا.. لا أشـــك أنهم يعيشون وهم يعانون من عقد نفسية بسبب تلك القيود!.. كم كان يضايقني صوت والدتي وهي تصلي قبيل الفجـــر وتـــدعو لي بالهداية والستر..

* وفي ذات يوم سألتني دلال: هل تعرفين خالد يا هند؟

أجبتها باستغراب: خالد! ومن يكون خالد أيضا؟

* أنه شاب في منتهى الوسامة و...و...ثم إنك يا هنـــد فتـــاة جميلة وصوتك ساحر.. ناعم.. دافئ! خالد يبحث عن فتاة مثلك..

أصابني شيء من الغرور خالطه الخجل، فقلت لها باســـتحياء: وهل يريد الزواج مني؟

قالت: ألا تزالين صغيرة العقل يا هند؟ خالد سيحدثك عـــن

طريق الهاتف فقط! فالمقصود التسلية لا أكثر!.

* ترددت في أول الأمر ولكن دلال بحيلها الشيطانية وأساليبها الملتوية أغرتني حتى ألقيت بنفسي في بحر جهله، فخضــت تجربــة جديدة واجهتني منها عواطف هوجاء كادت تغرقني لولا لطف ربي ورحمته، إذ أصبحت أنتظر مكالمته الهاتفية في الثلث الأخــير مــن الليل، ساعة النزول الإلهي!! لقد كنت أنتظر مكالمة خالد وأنا على أحر من الجمر.. والخيالات والأحلام الوردية تحلق بخاطري فتبلغ بي عنان السماء!

في تلك الساعة التي يتلذذ بها الطائعون بمناجاة الله، كنت أتلذذ بسماع صوته فأبثه الهموم والأشواق، وأشــنف سمعــي لحديثــه، وعبارات الثناء والإعجاب تزيدني تعلقا به!!.

خــــدعوها بقــــولهم حســـــناء
والغـــــواني يغـــــرهن الثنـــــاء

لقد أصابت سهامه، فوقعت في قلبي أشد الوقع!! كيف لا؟

وقد أتاني هواه قبــل أن أعــرف الهــوى
فصــــادف قلبـــا خاليـــا فتمكنـــا

* وبعدها تحول الحديث مع الــزميلات إلى سماعــة الهــاتف ومغامراتنا العاطفية.. فكل واحدة تخبر ماذا قال لها فلان.. ومــاذا قالت له.. حتى صار مفهوم الوفاء للصديقة عندنا يعــني تقــديمها لفلان من الشباب واقتراحها صديقة جديدة!

* مضت الشهور والأيام، ودلال وزميلاتها لا يألون جهــدا في

دعوتي لسلوك كل طريق يقودني إلى الضياع والهلاك، وأنا منســـابة ومنقادة بلا هدف!.

وقبل أسبوعين فقط، دعتني إحدى الزميلات لحضـــور حفـــل زواجها في أحد الفنادق الكبرى، فاعتذرت عـــن قبـــول الـــدعوة لشعوري بالنقص أمام تلك الفئة من النساء. فأنا لا أعرف الذهاب إلى محلات الزينة أو التسريحات الراقية..

علمت دلال بخبر اعتذاري لكنها لم تيأس! ففي أحـــد الأيـــام سمعت صوت جرس الهاتف فذهبت مسرعة كالعـــادة.. رفعـــت السماعة.. كانت دلال على الطرف الآخر..

- هند؟!

- نعم هند يا دلال..

- سمعت أنك لن تحضري الزواج.. هل هذا صحيح؟!

- نعم صحيح.

- ولماذا تحرميننا يا هند من رؤيتك..؟

- تعلمين يا دلال أن الحفل على مستوى رفيع.. وأنـــا كمـــا ترين وضعي لا يناسب المقام... و...

- لا عليك يا هند.. دعي الأمر لي.. سأصـــحبك معـــي إلى محلات [الكوافير] ثم نذهب إلى الفندق.. اتفقنا يا هند؟

- بلهجة المتردد.. قلت لها: حسنا اتفقنا..

واليوم ذهبت بصحبة دلال بعد إلحاح شديد على الأهل، ذهبنا إلى أرقى محلات [الكوافير] في المدينة.

دخلته لأول مرة.. وجلست على ذلك الكرسي وأمامي مرآة عريضة وضعت عليها أنواع منوعة مـــن الـــدهانات والأصـــابغ والأمشطة الغريبة!

أصبحت كدمية لا حراك فيها غير أن أقلب نظري في تلـــك الصور التي تملأ جدران المحل، أما دلال فقد تركـــت لهـــا حريـــة التصرف في تزييني، فهي بلا شك صاحبة خبرة في هذا المجال.

* وبعد انتهائنا من الزينة، ذهبنا إلى مكان الحفل.. كان الفندق في غاية الفخامة، فكل ما فيه يوحي بالبذخ والإســـراف غـــير أن المكان خال من الأطفال.. وخال من الحياء والحشـــمة!! مجموعـــة كبيرة من النساء.. يرتدين ملاءات فاضحة عجيبة! بعضها عار تماما إلا ما يستر العورة المغلظة.. والبعض شبه ساتر غير أنها تكاد تتمزق من شدة الضيق..

مناظر غريبة! فالألسنة عربية!. والأشكال أجنبية! موســـيقى غربية.. وأخرى عربية.. غناء صاخب.. رقصات ماجنة..

* وفجأة.. قطع حبل تفكيرها صوت الرعد.. تـــلاه صـــوت صاعقة قوية سقطت بالقرب من المنزل، فنهضت مذعورة ونظرت من النافذة فإذا ببرق شديد شق سواد السماء كاد يذهب ببصرها، فأغلقت النافذة بشدة حيث أصابها خوف وهلع شديدان.. لكنـــها ارتمت على سريرها.. وتشبثت بلحافها الصوفي. وقـــد ســـرت في

جسدها قشعريرة لم تشعر بها من قبل..

* ثم ازدحمت الظنون بخاطرها، فقالت بصوت خافت مرتجف: ماذا لو مت الآن؟ ما أقسى الموت! وما أشد غفلتي عنه.. والقبر؟ لقد طوته الغفلة في طي النسيان.. والصلاة ماذا عنها؟ إنها مجرد عادة! إن وجدت نفسي متفرغة أديتها على عجل.. وإلا تركتها كغيرها..

* ودق جرس الإنذار في نفسها مدويا! وانهالت الأسئلة من كل جوانبها..

* يا إلهي.. ماذا أعددت لسؤال ربي؟ ماذا أعددت للقبر وضمته؟ وللموت وسكرته؟ لا رصيد لدي.. لا زاد أتزود به سوى عشرات الأغاني التي أحفظها؟

لم تشعر هند إلا والدموع تتساقط من عينيها بحرارة وغزارة حتى بللت مخدتها!

إنها دموع الندم! دموع التوبة.

نهضت بعد أن استجمعت قواها ولملمت شتات فكرها ومسحت دموعها بيديها المرتعشتين..

* كانت الساعة تشير إلى الثالثة.. لم يطلع الفجر بعد! قامت وتوضأت وضوءا أزال كل ما علق بجوارحها من أدران المعاصي.. فكأنها تتوضأ لأول مرة في حياتها.. ثم راحت في صلاة وخشوع وبكاء وندم وعزم على عدم العودة..

وما أن سمعت أذان الفجر أسرعت لتــوقظ أبويهــا وتقبــل أقدامهما وتطلب منهما العفو والسماح.. أرادت أن تسرهما كمــا أحزنتهما.

* ومع خروج شمس ذلك اليوم.. خرجت هنــد مــن نهــر المعصية.. بعد أن أحرقت زورق حياتها السابقة.. وركبــت زورق الإيمان والصبر والمجاهدة..

* لقد عادت هند.. وعادت الابتسامة مشرقة علــى محياهــا الطاهر.. عادت وقد جعلت من رضا الله ورضا والــديها هــدفها المنشود.. لم تترك زميلاتها بل حاولت جاهدة أن تذيقهن حــلاوة الإيمان والتوبة، وتدعوهن لنبذ الأغاني والمسلسلات وغيرهــا مــن المحرمات الظاهرة والباطنة.. ولم تنس أيضا معلماتها اللاتي قصرن في أداء واجبهن ورسالتهن فأخذت تذكرهن بأنهن مسؤولات عمــا استرعاهن الله عليه من الطالبات.. ثم ذهبت إلى تلــك المعلمــتين المخلصتين فشكرتهما على حسن صنيعهما، وخصت أستاذتها وفاء بمزيد شكر.. ووضعت في يدها رسالة كانت قد سطرتها بعبــارات الثناء والتقدير.. وطلبت منها العفو والصفح عن كل ما بدر منــها من تقصير في حقها.. وقد روت فيها الأحداث الــتي مــرت بهــا وأخبرتها أن تلك الرسالة كان لها عظيم الأثر بعد الله في رجوعهــا إلى واحة الإيمان.

* ومضت هند في درب الإيمان.. تنير الطريــق للحــائرين.. وترسم الابتسامة على الشفاه الحزينة.

أبعـــاد .. ووقفات

أخي القارئ..

أختي القارئة..

بعد قراءة القصة.. يأتي سؤال يطرح نفسه:

* كيف نقي أو نحمي أبناءنا من الوقوع في الهزيمة النفسية؟!

* إن واجبنا.. كمربين.. أو كآباء وأمهات..

أولا.. وقبل كل شيء.. يجب علينا أن نقوي في نفوس النشء العزة الإيمانية.. أن نزرع في نفوسهم أيضا الثقة بالنفس! والفخـــر بالشخصية الإسلامية(1).

* كما أنه لابد من إعطائهم التطعيمات الوقائية اللازمة ضـــد جميع الأوبئة وتلك الأمراض! بحيث يكون لديهم الحصانة الذاتيـــة التي تقاوم –بإذن الله– جميع الفيروسات المعدية!

(1) ذكر الدكتور عبد الله خاطر –رحمه الله– قصة شاب إنجليزي أسلم. وبعد إسلامه بثلاثة أسابيع وجد وظيفة، ولكنها لا تقبل المسلم، فأراد الشباب في الجمعية الإسلامية هناك أن يدركوا ذلك الشاب؛ ليخبروه بألا يذكر لأصحاب الوظيفة أنه أسلم خوفا من عدم قبوله، فقد يتأثر نفسيا فيرتد عن دينه! فما استطاعوا، فذهب ذلك الشاب للمقابلة الشخصية، فوجد أناسا كثيرين غير مسلمين يسابقون على الوظيفة، لما دخل للمقابلة ذكر لهم بأنه أسلم، وكان اسمه "رود" وغير اسمه إلى "عمر" وقال: أنا غيرت ديني وغيرت اسمي وأريد أن يكون لي وقت للصلاة، إذا أنتم قبلتموني في هذه الوظيفة! فما كان منهم إلا أن قبلوه، وكان الأمر أعجب عندما قالوا له: إننا نريد في هذه الوظيفة رجلا عنده القدرة على اتخاذ القرارات، وأنت عندك قدرة عظيمة جدا في اتخاذ القرارات، فقد غيرت اسمك ودينك!

* ولابد لنا أيضا من أن نسعى جاهدين في تصحيح أفهــامهم وأفكارهم وتوعيتهم بما يحاك ضدهم.. وما يخطط لإفسادهم!.. وما يعرض عليهم من أنواع الفساد!!

عرفــت الشــر لا للشــر ولكــن لأتقيــه
ومــــن لا يعــــرف الشــــر يقــــع فيــــه!

الوقفة الأولى:

* إن المعلم.. والمعلمة لهما من أعمال الخير الكثير.. والكــثير، ومن المواقف الطيبة الأثر الكبير والكبير.. لما يتمتعان به من مكانــة في نفوس تلاميذهم..

* فكم من معلم مخلص فرغ نفسه لمتابعة من يرى أنه يحتاج إلى متابعة من تلاميذه، فكان لهم اليد الحانية التي أخرجتهم من وحــل الخطايا والذنوب إلى نهر الإيمان ومعينه الصافي!

* وكم من معلمة استشعرت عظم المســؤولية الملقــاة علــى عاتقها، فقامت بواجبها خير قيام.. والنتيجة.. لقد استقامت علــى يدها مدرسة كاملة!

فيا ترى.. كم من الأجر لذلك المعلم وتلك المعلمة؟!

* للرسالة أثر ومردود طيب في نفس المرسل إليه.. فهي تبقــى في يده زمنا.. يقرؤها.. يقلبها.. يتأمل في عباراتها ومعانيها.. مرات ومرات.. وبعدها.. قد تُحدث صراعا في النفس.. فتحتدم معــاني

الإيمان فيها.. فيظل يتنامى ويتنامى.. حتى تأتي اللحظة الحاسمـــة.. فتخرق شغاف القلب.. ثم يفيض سيل الخير من الأعماق!..

الوقفة الأخيرة:

* لا يختلف اثنان بل لا يشك عاقل في أن في الأشرطة المرئيـــة خيرا كثيرا.. ومنافع للناس.. باعتبارها من البدائل الحسنة.. ومـــن الوسائل الدعوية.. حيث يقدم فيها الخير بطريقة علمية جادة.. أو بطريقة مسلية وهادفة عفيفة في نفس الوقت..

* لكنها لا تخلو من الإثم.. إذا لم تستخدم بحذر شديد.. فهي تمام كالملح في الطعام!

* ولابد هنا أن يكون القائم على الأسرة دائم اليقظة.. فيحكم الرقابة على تملك الأجهزة.. خاصة إذا كان بين أفـــراد الأســـرة.. المراهقون أو من ليسوا على قدر من الالتزام بتعاليم الدين..

بعيدا عن الهزيمة النفسية..

* ومن أجل فكر سليم وثقافة رائدة وتصور واضح للمبـــادئ الإسلامية السامية والأخلاق الكريمة.. كانت هذه القصة..

راجين تحقيق التربية والعزة الإيمانية في نفوس حبيبة..

آملين غرس الثقة والفخر بالشخصية الإسلامية في عقول غضة يانعة.

وختاماً

* إنه لحلم يراود نفوسنا.. أن نرى أسرنا المسلمة وقـــد أدت دورها البناء.. في إعداد لبنات متماسكة، ونفوس قويـــة مســـتقرة متهيئة لحمل الرسالة.. وأن نرى أجيالا تـــنعم بالعافيـــة الفكريـــة والنفسية والخلقية.

نسأل الله أن يديم علينا أمننـــا وإيماننـــا، وأن يحفـــظ أبناءنـــا ومجتمعاتنا من كيد الأعداء.

إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهرس

